صورة الآخر الغجري في الرواية الجزائرية

(رواية "الغجر يحبون أيضاً" لواسيني الأعرج أنموذجاً)

صادق البوغبيش

الرتبة: (طالب دكتوراه، فرع اللغة العربية وآدابها في جامعة خليج فارس، بوشهر – إيران)
sadegh8258a@yahoo.com

رسول بلاوي

الرتبة: (أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة خليج فارس، بوشهر - إيران)
r.ballawy@pgu.ac.ir

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022/01/10	2022/06/14	2022/07/30

Abstract

The Algerian novel is of great importance in Arab fiction literature and was the most important link in the development of the modern Arab novelist art. Although the Algerian novel revealed its role in narrating the struggle against the occupation, its course has evolved and its contents have turned from local and national issues to global issues. Wassini Laaraj is an Algerian novelist who searches for global issues and oppressed peoples in order to convey their suffering to the recipient in an artistic style and an interesting narration. This research, according to the descriptive-analytical approach, seeks, in light of the concept of the image, to study the image of the Roma other in the novel "Gypsies also love" by the novelist Wassini al-Araj, to clarify the image of the Roma other in Algerian society and then reach an understanding of the Roma identity through the text of the novel. During the study to show how the ego interacts with the other gypsy.

Key words: the Algerian novel, the image of the other, the novel " Gypsies also fall in love", and Wassini Laaraj.

المُلخّص

للرواية الجزائرية أهمية بالغة في الأدب الروائي العربي، كما كانت هذه الرواية، الحلقة الأهم لتطور الفن الروائي العربي الحديث ورغم أنّ الرواية الجزائرية أفصحت عن دورها البيّن في سرد النضال ضدّ الاحتلال، فقد تطورت مجرياتها وتحولت مضامينها من قضايا محلية ووطنية إلى قضايا عالمية. واسيني الأعرج روائي جزائري يبحث عن قضايا عالمية وشعوب مضطهدة لكي ينقل معاناتهم للمتلقّي بأسلوب فنّي وسرد شيّق، ومن أعماله الأخيرة رواية "الغجر يحبون أيضاً" حيث يعالج من خلالها، قضايا مرتبطة بالغجر المضطهدين من قبل الشعوب والحكومات. يسعى هذا البحث وفق المنهج الوصفي- التحليلي في ضوء مفهوم الصورة أن يدرس صورة الآخر الغجري في رواية "الغجر يحبون أيضاً" للروائي واسيني الأعرج، لتبيين صورة الآخر الغجري في المجتمع الجزائري ومن ثم الوصول إلى الإحاطة بالهوية الغجرية واستيعاب مستورها من خلال نص الرواية وتسلسل أحداثها، ويرمي البحث من خلال الدراسة إلى إظهار كيفية تفاعل الأنا مع الآخر الغجري.

المفردات المفتاحية: الرواية الجزائرية، صورة الآخر، واسيني الأعرج ، رواية "الغجر يحبون أيضاً".

1. المقدمة

ليست الغجر أقلية دينية ولا طائفية ولا عرقية، لا أرض لهم، ولا جنسية، يحملون وطنهم معهم ويجوبون العالم، هويتهم هي عاداتهم وتقاليدهم، فمنهم المسلم والمسيحي، ومنهم من لا دين له، يعتبرون العالم كله ملكهم، ويعيشون في كل ارجائه، هناك اختلاف بالنسبة لأصولهم، والأغلبية تقول أنّهم من الهند. لعلّ أهمّ ما يميز المجموعات الغجرية هو شغفهم بالرقص والغناء وتُعد هذه الفنون مصدر رزق للكثير منهم، حيث يعتبرونها جزءاً أساسياً من عاداتهم وتقاليدهم التي يفتخرون بها، وتضاف اليها تقاليد وفنون أخرى كصناعة الحلي والإكسسوارات والخواتم، كما اعتمدوا في الماضي على تجارة الحمير والبغال، ومن المهن التي برعوا فيها أيضاً وأصبحت على وشك الانقراض هي طب الاسنان وتركيب الأسنان الفضية والذهبية. أهم ما كان يميز الغجر عن غيرهم هو الترحال والتنقّل من مكان إلى آخر، والذي بات أمراً صعباً في العصر الحالي، حيث أصبح هذا التنقّل بين البلدان المختلفة محظور عليهم، كما أن الكثير من مهنهم قد اندثرت، وزاولوا مهنة التسوّل والتكدّي في بعض البلدان، فالغجر من الشعوب التي لا تحب الالتزام والعمل.

تغيّرت مضامين الرواية العربية الحديثة في الجزائر، وصار الأدباء يهتمّون بالعناصر الأكثر جدلاً بدل الخوض في سرد وقائع محلّية وصلت حد الإشباع. قضية الغجر في الأوطان العربية قضية قديمة حيث تواجدت الغجر في الكثير من الأوطان العربية، وتعايشت هذه الجماعات مع العرب، والمهم في هذا التعايش هو أنّ الجميع ينظرون إلى الغجر من منظار واحد وبأوصاف مشابهة، ومن المتفق عليه من أوصاف الغجر هو أنهم يجلبون الأمراض، ويفشون الفساد، ويسرقون الأطفال

والأموال، ويديرون بيوت الدعارة، ويمتهنون الرقص وبيع الهبارات، ورجالهم خاملون لانفع منهم، وبهذه الأوصاف ارتسمت صورة الغجر، فرغم أنّ بعض الأدباء حاولوا توظيف هذه الجماعات بصورة رمزية، إلّا أنّ هذه الصورة النمطية استقرت لدى الشعوب وبقية الأدباء ولم تتغير رغم المحاولات الكثيرة. رواية "الغجر يحبون أيضاً" للروائي الجزائري "واسيني الأعرج" تتحدث عن المعاناة التي تكبدها الغجر في وهران الجزائرية، زمن سلطة الآخر الفرنسي، واحتلاله لهذه البلاد، حيث نرى معاملة شخوص الرواية للغجر، معاملة غير حضارية.

1-1. تحديد الموضوع

واسيني الأعرج روائي جزائري يكتب عن الغجر ومعاناتهم في المجتمعات الشرقية والغربية ويرسم لنا ما تعانيه هذه الفئة من اضطهاد وانتساب جرائم لاصلة لهم بها، من خلال رواية "الغجر يحبون أيضاً". نحاول من خلال هذا البحث، دراسة الآخر الغجري في هذه الرواية وكيفية نظرة الأنا للآخر الغجري ونظرة الآخر الغجري للأنا وأهميتها في المجتمعات الإنسانية.

2-1. إشكالية البحث

دراسة الآخر في الرواية العربية تساعد القارئ العربي على معرفة الأطياف الأخرى القاطنة في مجتمعه، والمتلبسة بثقافته وعاداته، لذا حاولنا أن ندرس الآخر الغجري في رواية "الغجر يحبون أيضاً" لإشكاليتين، أولاً: لم تدرس هذه الرواية بصورة أكاديمية رغم أهميتها وأهمية مضامينها الاجتماعية، ثانياً: أنّ صورة الآخر الغجري باتت تتغيّر في الأدب العالمي وهذا التأثير والتغيير دخل في الرواية العربية من خلال رواية "الغجر يحبون أيضاً"؟

3-1. أسئلة البحث

الأسئلة التي تُطرح في هذا البحث:

ما هي ملامح صور الآخر الغجري في رواية "الغجر يحبون أيضاً" وما أنواعها؟

كيف ظهرت صورة الآخر الغجري في الرواية وما الفوائد المكتسبة من قراءتها؟

من الذي يمثّل الأنا في مواجهة الآخر الغجري؟

4-1. خلفية البحث

من خلال البحث في مجال صورة الغجر والدراسات التي تشمل هوية الغجر، تبيّن لنا أنّ هناك دراسات أكاديمية على مستوى كتاب، أو أطروحة جامعية، أو مقال محكّم.

أ: كتب حول الغجر

طه حمادي الحديثي (1979) له كتاب بعنوان "الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية" وقد قسّم الكتاب على أربعة فصول: الفصل الأوّل: يختص بالصفات الاثنوغرافية والديموغرافية، الفصل الثاني: الاستيطان، الفصل الثالث: النشاط الاقتصادي، الفصل الرابع: يحتوي على مشاكل الغجر والقرج واقتراحات لحلولها. ويرى الكاتب أن أهم مشكلة لدى الغجر [في عصر الكاتب] هي عدم منحهم الجنسية العراقية، وكأنّه لا يعلم بأنّ الغجر أصلاً لا يريدون جنسية كي لا يتقيّدوا في جغرافيا خاصّة، وغفل عن المشكلة الأساسية التي باتت أهم قضية لدى الغجر وهي مسألة الحدود والتضييق على ترحالهم. لا ننسى بأنّ الكتاب تناول الفعاليات الاقتصادية للغجر وتحصيلهم العلمي، وأماكن تجوالهم المعتادة سابقاً، ومناطق أقامتهم الحالية، ولا يهتم بالجانب الأدبي ألبتة.

جمال حيدر (2008م) كتب كتاباً بعنوان "الغجر: ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب" نُشر من دار المركز الثقافي العربي، ودرس الهوية، والقيم والأعراف، وسلوك الغجر في المنطقة العربية، والهولوكوست، وفنون الغجر، والأساطير، وبما أنّ الدراسة لا بأس بها، إلّا أنها تفتقر من ناحية الدراسة الميدانية، والتحليلية وحتّى التوصيفية، فقد اكتفى الكاتب بالسرد ونقل الأقاويل ولم يستند بدراسات سابقة ومحكمة.

كتبت الكاتبة الأردنية مي بنات كتاباً بعنوان "صورة الغجر في الرواية.. دراسة مقارنة في نماذج عربية وعالمية" صدر عن دار الآن ناشرون وموزعون. احتوى الكتاب على ثلاثة فصول، مهّد لها باستهلال يشمل أولاً التّعريف بجماعة الغجر التي تتضمّن: التسمية، وأصول الغجر، ولغة الغجر، والمعتقد الديني لدى الغجر، وأبرز عادات الغجر التي تضمّ بدورها: الأسرة والموت والدفن، وثانياً: الصورة النمطية للغجر، وثالثاً الغجر والأدب.

هناك كتاب للكاتب حميد الهاشمي بعنوان "تكيّف الغجر: دراسة إنثروبولوجية اجتماعية لجماعات الكاولية في العراق" وقد قسّمه إلى عشرة فصول: الفصل الأوّل: من هم الغجر والكاولية؟ الفصل الثاني: فرضيات في أصل الغجر، الفصل الثالث: الغجر أو الكاولية في العراق، الفصل الرابع: القرابة والزواج في مجتمع الكاولية، الفصل الخامس: النسق الديني، الفصل السادس: النسق الاقتصادي، الفصل السابع: الضبط الاجتماعي، الفصل الثامن: الاتصال والتفاعل الاجتماعي، الفصل التاسع: التكيّف الاجتماعي، والفصل العاشر: أوضاع الكاولية في العراق اليوم. فالكتاب يحتوي على دراسة شاملة تعرّفنا على غجر العراق، تستحق القراءة والتقدير.

ب: مقالات ودراسات حول الغجر

كتب مالك صقور مقالاً بعنوان "بحثاً عن الحرية (الغجر)" في مجلة الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية يصدرها اتحاد الكتاب العرب في سورية، السنة الحادية والأربعون، العدد 493، أيار 2012، وقد أصّل الكاتب إصالة الغجر قائلاً: "كان هؤلاء الغجر قد غادروا موطنهم الأصلي البنجاب قبل أكثر من ألف عام، وعبروا البوسفور في طريقهم إلى أوروبا،

حيث انتشروا في كل بلد وتكيّفوا مع كلّ نظام"، وبما أنّ الكاتب عربيٌّ، إلّا أنه قد غفل عن مصادر ونصوص عربية مهمّة واستند بقصائد ونصوص أجنبية لمعرفة الغجر وترحالهم من مكانٍ إلى آخر.

نشرت مجلة المرحلة، سنة 2016، دراسة مهمة بعنوان "سكان الأهوار والبيئة" في العدد الثاني والاربعون 2016/4/15 في قسم التراثيات، للكاتب حسين چلوب الساعدي، كانت هذه الدراسة ميدانية، حيث عاش الكاتب حقبة زمنية مع الغجر لتصوير حياتهم اليومية، إلّا أن الدراسة كانت قد كتبت عن الغجر في اليوم نفسه، فلم تتقصّى جذورهم، ولم تتطرق إلى كيفية إقامتهم في الأهوار، وتقبلهم هذه الحياة وتكيّفهم معها تاركين الرقص والترحال.

الكتب التي اهتمت بموضوع الغجر في الرواية، وتناولت دراسة صورتهم الحقيقية قليلة جداً، لهذا حاولنا أن ندرس صورة الغجر في الرواية العربية من منظار الآخر الغجري، فتجدر الإشارة إلى بعض الدراسات التي اهتمّت بصورة الآخر في الأدب، وهي:

كتب أياد عمّاوي في عام (2007م)، كتاباً بعنوان "الأنا والآخر ودورها في رسم وتحديد العلاقة بين الوطن العربي والغرب" قُسّم على أربعة فصول: دراسة الصّورة عند الآخر الغربيّ، وصورة الآخر الغربيّ عند العرب، والعلاقة بينهما وصورة الفلسطينيين عند الغرب والأمريكيين.

نشرت ماجدة حمّود عام (2010م)، كتاباً بعنوان "إشكالية الأنا والآخر: نماذج روائية عربية"؛ وقد اختارت المؤلّفة في هذا الكتاب ثمانيَ روايات من عدّة بلدان عربية وناقشت رؤية الأنا العربية ولغتها وموضعها تجاه الآخر وكيفيّة إيجاد علاقة التفاهم والتعامل مع الآخر في دراسة متأنية للروايات. من ميزات الكتاب أنّه يحتوي على مقدّمة نظرية حول إشكالية الأنا والآخر، وتمتاز دراسة الرّوايات بتجاوز المستويات الاجتماعية والثقافية والسياسية، والاهتمام بجماليات اللّغة والمكوّنات السردية كالعنوان، والفضاء، والاسم، والضمير، والحوار.

كتب محمد قاسم لعيبي (2011م)، أطروحته بعنوان "صورة الآخر في الرواية العراقية المعاصرة"، والتي نوقشت في كلية الآداب، جامعة المستنصرية. الأطروحة مشتملة على الفصول التالية: الفصل الأوّل: الذات الكلية العربية التي تتبنّى القضايا العربية في مواجهة الآخر، والفصل الثاني: اهتمّ بالذات الفردية، والذات القوية الصلبة، والذات المتأرجحة، والذات المغتربة والاغترابية، والفصل الثالث: يدرس صورة الآخر وقد توزّع على ثلاثة مباحث، كان هدف المبحث الأوّل منه دراسة صورة الآخر الخارجي (الأجنبي)، أما المبحث الثاني فكان الهدف منه دراسة صورة الآخر الداخليّ (المحليّ)، واهتمّ المبحث الثالث برصد اتجاهات رؤية الآخر. أما دراستنا هذه فهي تعالج الآخر الغجري في رواية "الغجر يحبون أيضاً"، حيث لم يتطرق لهذه الدراسة أحد من قبل.

2. الصورولوجيا

ارتبط مفهوم الصورة بالمفاهيم المقترنة بالمِرآة، والمرآة هو السطح الذي "يعكس كل ما يقوم أمامه، فأيّ شيء يمتلك خاصيّة السطح العاكس فهو مرآة وهذا الذي يقوم أمام المِرآة يعرف باسم الأصل، وأمّا الذي تعكسه فهو يعرف بالصورة أو الانعكاس، وتدور الصورة مع أصلها وجوداً وعدماً، فإنّ وُجِدَت كان الأصلُ موجوداً، وإن انعدمت أو غابَت كان الأصل منعدماً أو غائباً[1]". فمن هذا الانعكاس تظهر أهميّة للصورة وأصلها، لهذا يُظهر الحديث عن الأنا والآخر والارتباط القائم بينهما، صورة تساعدنا على كشف هويتنا التي سُمّيَت بالأنا، "حيث تعمل ذات الآخر مرآة نرى فيها ذاتنا التي تعمل بدورها كمرآةٍ تساعد الآخر على رؤية ذاته[2]". إذا كانت الصورولوجيا حقلاً من حقول الأدب المقارن ومن أوّل المجالات التي تطرّقَ إليها هذا الأدب، فمن الذي يكوّن الصورة ويخلقها؟ يرى عبدالمجيد حنون أنّ الأديب يحاول أن يخلق الصورة، قريبة من الواقع الحقيقي؛ لأنّها "لاتطابق الواقع الحقيقي، وليست شديدة القرب منه، ولكنّها ليست مختلفة عنه تمام الاختلاف، إنّها رؤية معقولة لشعبٍ عن شعبٍ آخر، تعتمدُ على عوامل عقليّة وأخرى ماديّة موضوعيّة وذاتيّة[3]". إذاً الصورولوجيا هي دراسة الصورة الأدبية لمجتمعِ الآخرِ والهويّة التي يحتضنها، وهذا أمرٌ طبيعيٌ؛ لأنّ الإنسان يحاول أن يقارن نفسه ويوازنها مع الآخر؛ وهذا الآخر ربّما يكون أجنبياً أو من أهله لكي تظهر المقارنة.

2-1. موضوع الصورولوجيا

الصورولوجيا أو علم الصورة دراسة حديثة حيث تعدّ "من أحدث ميادين البحث في الأدب المقارن، وبها تُعرف مكانة كل أمة لدى غيرها من الأمم، وبها تُرى صورتها في مرآة آداب الشعوب الأخرى[4]". موضوع الصورولوجيا هو دراسة صورة الأنا والآخر؛ لكنّ الآخر ذاته قد أثار كثيراً من الجدل والاختلاف حوله، حيث إنّ الكثيرين يتوسّعون في مفهومه ويرون أنّ مفهوم الآخر هو المضاد للذات والوجه المقابل أو النقيض لها، وتأسيساً على ذلك، فإنّهم يوسّعون دائرة المفهوم بحيث يشملُ كلَّ من يغاير الذات على الإطلاق، وإذا طبّقنا ذلك على الشعر فإنّ الممدوح والمهجو والمرثي والمرأة وغيرهم يندرجون في هذا الإطار"[5] والكثير من الدارسين يدرجون الآخر تحت مفهوم الأجنبي الذي يخالف الأنا في الجنسِ، والانتماء الديني، والفكري والبُعد الجغرافي، فمن هذا المنظار يكون موضوع الصورولوجيا في الأدب المقارن هو "دراسة صورة بلاد وأشخاص أجانب في أعمال شاعر أو كاتب أو في مدرسة وفترة زمنية"[6] كما سنبيّن في هذه الدراسة أنّ الروائي الجزائري اعتمد على العرق لكي يخلق جهتين متخاصمتين، جهة الغجري المطرود من المجتمع والعرق الأبيض المتألّه على الغجري.

2-2. أنواع الصور

قسّمت سلاف بوحلايس الصورة إلى نوعين، الأولى: صورةُ شعبٍ في أدبِه، والثانية: صورةُ شعبٍ في أدبِ شعبٍ آخرَ. في النوعِ الأوّل "لا يتعدّى إطاره القومي واللغوي، فهو إذن يبحث فنيّات الأديب في طرق موضوعه أو فنيات الأدباء في تناول الموضوع، بالوصف والتحليل مثل صورة الفرنسيين في أدبهم أو صورة المرأة الألمانية لدى أديب ألماني، أو صورة المرأة المصريّة في روايات نجيب محفوظ أو في الأدب المصري عموماً"[7] وفي هذا النوع تكون الأنا صورةً للأنا ذاتها. وفي النوع الثاني حيث "لاتهتمّ إلا

بالشعوب المجاورة لها أو التي تشترك معها في مسألة، أو أن يكون لها معها مصالح اقتصادية، أو تريد كسب ودّها أو تخشى بأسها"[8] وهناك من قسّم الصورة إلى مباشرة وغير مباشرة. "تأتي الصور المباشرة من علاقة وتعامل الأنا مباشرة بالآخر والعيش في بلد الآخر وفي ثقافته ويحصل عن طريق تأثير شعب في آخر وتركيز أدباء الشعب المتأثر على تصوير الشعب المؤثر في فن أدبي معين كالرواية، أو القصة القصيرة، أو المسرحية، أو الشعر"[9]. والصورة غير المباشرة تأتي على أساس الصور الأخرى "مثلاً الشاعر لم يعش في بلد الآخر ولم يواجه ثقافته من قريب بل يصوّره على أساس الصور التي قدّمها الآخرون في آثارهم أو على أساس ما قرأ عنه في الكتب الأخرى. وفي هذه الحالة يكون التركيز على حياة الكاتب ومدى صلته بالبلد المقصود، ثم يبيّن كيف استقى معلوماته أو كيف رأى البلد رأي العين، وإلى أيّ حدٍ كانت الصورة التي رسمها لذلك البلد صادقة أو كاذبة"[10] ولكنّ الصور في رواية "الغجر يحبون أيضاً" قائمة على العرق والانتماء العرقي بين العرق الفرنسي والعرق الغجري والعربي.

2-3. الأنا والآخر لغةً واصطلاحاً

احتوت قضية الأنا والآخر على قضايا فلسفية، ونفسية واجتماعية في اللّغة، وشكّل هذا الاتجاه من الأدب أغراضاً مختلفة، سنبحثها في طيّات رواية "الغجر يحبون أيضاً" بعدما نأتي بتعريفها وتوصيفها.

2-3-1. الأنا والآخر

جاء مفهوم الأنا في اللغة العربية لتبيين وتعريف الشخص بنفسه وفي لسان العرب نقرأ بأنّ "الأنا لغة ضمير مفرد يخصّ المتكلم ولا تثنِية له إلا بنحن. يصلح نحن في التثنية والجمع[11]" وجاء في المعجم الفلسفي "الأنا مفهوم فلسفي يدل على ذات الأفعال المتعمّدة أي الأفعال التي تأخذها الشخصيّة بالحسبان وتتحمل مسؤوليّتها"[12] إذاً المقصود من لفظ الأنا، المشاعر والأفكار والجانب الواعي لذات الشخصية الإنسانية تجاه كل ما يختلف عنها وخارج إطارها ولا يمت لها بصلة، حتّى ولو كان من أهلها ربّما يختلف معها.

أمّا الآخر فهو بمعنى الغير في اللّغة و"يُعبَّر عنه أيضاً بِعِدَّةِ ألفاظٍ كالمختلفِ أو المغايِر أو المتميّز، ويقول البعضُ إن الضمائر الأخرى، مثل أنت وهي وهو وغيرها من الضمائر هي إشارة إلى الآخَر أو للا-أنا في مقابل الأنا"[13] وفي المعنى القريب البسيط هو "كلّ من يقارب الأنا وأنت ونحن؛ أمّا في المعنى الاصطلاحي الأبعد فالأمر مختلف"[14] وما ذلك إلّا "لأنّ في الوجود الإنساني آخَر دينياً ومذهبياً وقومياً وعرقياً وجغرافياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً؛ فتتعدّد دوائر الآخر ومستوياتها بتعدُّد دوائر الأنا ومستوياتها. ويختلفُ تحديد الآخر تبعاً لموقع الناظر إليه؛ فالآخر بالنسبة للذات الدينية هو ذلك الإنسان الذي ينتمي إلى دينٍ آخر، أمّا الآخر بالنسبة إلى الذات القومية أو العرقية فهو الذي ينتمي إلى قومية أو عرقية أخرى"[15] وعلى هذا المنوال، سندرس رواية "الغجر يحبون أيضاً" حسب علم الصورة التي جاء ذكرها وتعريفها.

3. مصطلح الغجر

يطلق مصطلح "الغجر" على "مجموعة من الأفراد ينتمون إلى عرق يختلف عن العرق الذي ينتمي إليه مواطنو البلد التي يرتحلون إليها، وكان يتميّز أصحاب هذا المسمى بالترحال، وهم من أصل هندي، ظهروا لأوّل مرة في انجلترا في بداية القرن السادس عشر تقريباً، وظن الأوربيون وقتها أنهم قادمون من مصر، والغجر ليس المسمي الوحيد الذي يطلق على هذه الفئة من البشر، فهناك مسميات أخرى أشهرها "كأولية" في العراق، و"نور" في الشام ومصر، وتشتهر لهم في مصر أيضا مسميات "الحلب" خاصة في الصعيد، والغزواتية، والهنجرانية، ولكل مسمي من تلك المسميات سبب وخلفية تاريخية، لكن يشترك الجميع في أنهم غجر" [16]

3-1. صفات الغجر

حاول بعض الباحثين تحديد صورة معينة للغجر وقد كان "جورج مين" من بين الذين حاولوا تحديد صفات الغجري الحقيقي أو النموذجي، فقد قرر "أن الغجري الحقيقي له بشرة داكنة وشعر أسود، وعينان لامعتان، وأسنان براقة، ووصف "تلهاجن" غجري سويدي بأنه كان قصير القامة ممتلئ الجسم ذاكتفين عريضين. فبشرتهم تميل إلى السواد بصفة عامة، وتتدرج من اللون الزيتوني القاتم إلى البني أو الأسود"[17] أما عن أوصاف الغجر لدى العامة فقد "اختلفت تسميّات الغجر في أزمنة مختلفة ومدن متمايزة، غير أنها ارتبطت بالتصورات السائدة لدى العامة عنهم وتتمحور حول معنى موحّد يتبلور بأن الغجر هم: المشعوذون، داكنو البشرة، اللصوص، السحرة، المتسولون، والفئات المنحطة في المجتمع، والكفرة وحاملو الأمراض"[18].

3-2. معتقدات وعادات الغجر

بحث بعض العلماء والمحقّقين في أصل الغجر ورسومهم وعاداتهم ونشرت كتب في هذا المجال وقد اتّفق أكثرهم بأنّ "لغة الغجر هي اللغة السانسكريتية ونشأتهم كانت في الهند وخرجوا من هناك ولديهم عادات متشابهة وهناك بعض الغجر يأخذون عادات أهالي المناطق التي يسكنونها للعيش بأمان ودون إحراج"[19].

وهذا ما اتّفق عليه العلماء إذ نقرأ: "يرى علماء فقه اللغة أن لغة الغجر لغة هندو أوروبية ترجع بجذورها إلى السنسكريتية. ويرجع هذا إلى أن نقطة انطلاقهم كانت وسط أو جنوب آسيا. وقد امتزجت لغتهم قليلاً بالاختلافات المحلية، ومع ذلك فهي أينما وجدت أوثق ارتباطاً باللغة الهندوستانية من أي لغة أخرى، كذلك قرر "جروم" أن هناك ما يقرب من مائة كلمة يونانية في لغة الرومني، وهناك العديد من الكلمات السلافية، وبعض كلمات قليلة من الفارسية والأمريكية والرومانية والكجرية، والكلمات الألمانية الأصل"[20]. يعتقد الغجر بمبدأين، مبدأ الخير ومبدأ الشر و"الإله عند الغجر والخالق حيث هو

مبدأ الخير والجمال يسمّى بـ"o"del" والشيطان وهو مبدأ الشر سُمّي بالـ"o"bengh"، بعقيدة الغجر مبدأ الخير ومبدأ الشر يحملان طاقة متعادلة ولا يستطيع أحدهم النيل من الآخر، لهذا تراهما دائماً في صراع"[21].

4. القسم التحليلي

سندرس في هذا القسم من البحث مهنة الغجر، وأوصافهم، والغجري في عيون الأنا الغجرية والآخر غير الغجري.

4-1. مهنة الغجر

للغجر مهن كثيرة منها الغناء، وبيع العود والعطر، وتربية المواشي.

4-1-1. غناء الغجر

أهمّ مهنة عند الغجر هي حبّهم للغناء والرقص و"لا يمكن تصوّر غجري دون آلة موسيقيّة. فالموسيقى الهويّة البديلة عن هويتهم الضائعة، إذ تحفل موسيقاهم بطاقة تعبيريّة دون مدى وتنصهر في نغماتها أقصى حالات الألم والعشق في آن. وعرف عن الغجر ارتباطهم بالموسيقى عزفاً وغناء ورقصاً وكانت مواهبهم سبباً رئيساً في حصولهم على قدر من الصفح والتسامح. وليس للغجر لغة موسيقية مشتركة، فهم حفظوا الأغاني والموسيقى المحلّية للشعوب التي شاركوها الحياة، وأضافوا إليها نكهتهم الخاصة، ونالوا بذلك الاعتراف ليغدوا جزءاً من الهوية الوطنية لموسيقى تلك الشعوب. ومنذ منتصف القرن الثامن عشر أصبحت هيمنتهم واضحة على الموسيقى ولم يعد بالإمكان الاستغناء عنهم، حتّى غدت الموسيقى من أرقى المهن التي يمارسها الغجري، كذلك أهمها كمصدر للرزق"[22] عُرفت جماعات الغجر بالغناء والرقص، فبمجرد دخولهم منطقة يقومون بتنظيم كرنفالات للغناء، وهناك من الغجر من تابع الغناء بشكل رسمي، كما نرى في رواية "الغجر يحبون أيضاً":

"الأسطوانة تحتوي على عشرين أغنية غجريّة بصوتكِ الشجيّ، حملت عنوان الألبوم كلّه، تبكيني كلّما سمعتها، تماماً كما كانت تبكيكِ يا أنجي"[23]

كان خوسي حبيب أنجلينيا مشهوراً في مصارعة الثيران، وكان يطرب لغناء الغجر رغم أنّه لم يكن غجرياً، ثم يضيف قائلاً:

"تُفتح أبواب القطار الثقيلة، فتطلّ مجموعة من الغجر برؤوسهم المتحرّكة، وألبِستهم الملوّنة، وهم في حالة انتشاء، على الرغم من تعب الرحلة الطويلة. ينزلون وسط الموسيقي الاحتفالية، تسبقهم أغانيهم ونقرات القيثارة الجافّة، والبانجو، والضحكات التي لا تتوقف"[24]

فكرنفالات الغجر تُنظّم دائماً في وسط مدينة وهران، فصوّرها لنا واسيني الأعرج، تصويراً جليّاً، كي نعيش أجواءها، وعندما يسأل الشرطي الآنسة ميشلين ميلر عن كيفية سفرهم مع الغجر، تردّ عليه قائلة:

"أفرحوا الركّاب في القطار بغنائهم ورقصهم طوال الرحلة. ورقص معهم كلّ من رَغِبَ في ذلك. كانوا في عربة واحدة حتّى لا يُزعجوا بقيّة المسافرين"[25]

يعزف الغجر في كل الأوقات للتسلية والحصول على مبلغ ممن يستمتع بموسيقاهم. تقول أنجلينيا:

"و أقول لماذا لا آخذ كلّ أغاني الغجر، خالتي تحفظ منها الكثير، وأصدر مع فرقتي الصغيرة، ديسك فينيل 33 أو 45! الناس يحبّون ذلك. من أجل هذا، يجب إيجاد ستوديو حقيقيّ، ومنتج متحمّس لأغاني الغجر" [26]

تطورت الغجر في الآونة الأخيرة وصاروا يغنّون في القنوات والاستديوهات ومنهم من أصبح منتجاً للأغاني التراثية الغجرية، فارتباط الغجر بالغناء ارتباطاً عميقاً، حيث يستطيع الغجري، من خلال الغناء، إثبات هويته في الأمكنة التي يقطن فيها.

4-1-2. بيع العود والعطر

هناك من يرى صلة بين فساد المرأة الغجرية وقيامها بمهمةِ بيع منتجات يتولّى رجال الغجر صنعها، كما أشار الحديثي أن هناك "صلة تحمّل المرأة مسؤولية الاتصال بالمجتمع الريفي والحضري لقيامها بمهمة بيع المنتجات التي يتولّى الرجل صنعها كالغرابيل والادوات الزراعية والمنزلية. الامر الذي يوحي للناس بسوء اخلاقها[27]" وفي رواية "الغجر يحبون أيضاً" نرى نساء الغجر يبعن العطور والعود في الأسواق:

"شمّ رائحة عطر أندلسيّ يشبه عطر العود الذي يُصنع في البيوت الغجرية، وتبيع منه أنجلينيا لنساء الأسواق، وحتّى للعابرين بعد سماع الموسيقي" [28]

إذن كانت بطلة الرواية تبيع العود وتغني لتسويق بضاعتها، فهذا الأمر طبيعي بين أفراد الغجر، كما كانت أنجلينيا هي من يصنع العطر الخاصّ بالغجر:

"فجأة، انطفأت حركة أنجلينيا، في البيت، ولكن أيضاً في السوق. لم يَعُد صوتها يُسمع ولا سخريتها، ولا حتّى عطرها الحادّ الذي تصنعه من دبس الرّمان، والمراهم الإفريقية، وعطر البنفسج البرّيّ، وخلطات لا أحد غيرها يعرفها. تصنعه بيديها برفقة صديقاتها من الغجريات، ويبعنه للعمّ هارون نعّوم، اليهودي الذي يأتي من الدرب حتّى الكميل، مرّة في الأسبوع ليأخذه للبيع" [29]

كانت أنجلينيا بطلة الرواية هي الشخصية النامية في النص، حيث كانت الحلقة الأساسية في ربط أحداث الرواية وكانت تمتهن أكثر من مهنة كما أنها كانت جريئة في التعبير عن خلجات نفسها ولا تخاف لومة لائم.

4-1-3. الغجري الحدّاد

أصبحت مهنة الغجر في الآونة الأخيرة تعبّر عن هويتهم في المجتمعات الإنسانية كما أنّ "هناك وجهة نظر في مجال المقارنة بين الأفكار المختلفة التي تبحث عن أصل الغجر، تترك مجال الجغرافية البشرية إلى مجال التقنية. فلا تهتم كثيراً ما إذا كان

الغجر كانوا في كالديا أو مصر أو غيرها، بل الأهم هو أن القصص والأحداث كلها تصف الغجر على أنهم حدّادين من أنواع مختلفة. فهم يعلمون في الحديد والبرونز والذهب والمعادن الثمينة"[30] نقرأ في رواية "الغجر يحبون أيضاً":

"جزء منه يبيعه للدكاكين القريبة التي يعتبرها مورده الأساسيّ في أشياء كثيرة يصنعها الغجر، مثل الأطباق، والأدوات الفخاريّة، والزرابيّ الغجرية المدقوقة والرخيصة، لأنّها مصنوعة من الوبر أو الصوف الثانويّ"[31]

"وإذا كان الربا هو المدخل إلى سائر المهن التي مارسها اليهود، فإن الحدادة كانت المدخل إلى سائر المهن التي مارسها الغجر، فطرقات الحداد تطلق شرراً والشرر يرتبط بالسحر وقراءة الطالع، وطرقاته أيضاً تطلق إيقاعاً، والإيقاع يرتبط بالموسيقى والغناء والرقص[32]" وصارت هذه صفة للغجر في الرواية العربية. فالمرأة الغجرية فيما مضى كانت هي العمود الأساسي والمحور الرئيسي في العائلة والتي تُبنى عليها الأسرة، كما كانت المسؤولة عن العمل والإنفاق، الدور الذي تحوّل مؤخراً إلى الرجل، وعلى الصعيد الشكلي فالمرأة الغجرية لها ما يميزها عن سائر النساء، كلون الشعر المشابه للون البشرة، والعيون الملوّنة، وهذه الأوصاف بحسب الكثيرين، هي من علامات الجمال.

4-1-4. تربية المواشي والحمير

بما أنّ الغجر يجيدون الحدادة فـ"يسير على الحداد أن يعمل حذاء للخيل، وحذاءة الخيل أهمته إلى العناية بها، فيداويها ويداوي غيرها من بني جنسها، ثم صارت له مهارة في طب الحيوان بل صارت له مهارة في طب الإنسان" (كحيلة، 1994م: 7). في رواية "الغجر يحبون أيضاً" نرى غارسيا يهدّد خوسي:

"تعرف، كان المفروض أن أذبحك أنت أيضاً، وأخصيك كما أخصي الأحصنة والبغال"[33]

غارسيا هو زوج أنجلينيا التي أحبّت خوسي مصارع الثيران، وبسبب هذا الحب كان غارسيا يكره خوسي لهذا يهدّده بالخصاء أو القتل.

5-1-4. **الغجرية والأنوثة الشبقة**

من عادات الغجر، عدم إكتراثهم لمسألة الشرف، وبيع الهوى يعدّ من أهم مصادر الرزق عندهم فـ"الغجر يأخذون من الإثارة الجنسية فرصة للتجارة، فيعملون قوّادين للفسق والرغبات الجنسية على الرغم من أنهم في بعض البلاد يحافظون على عفتهم الجنسية[34]" في رواية "الغجر يحبون أيضاً" نرى أنجلينيا، الفتاة الغجرية وبطلة الرواية، تدعو الشرطي لجلسة غرامية، كي تستطيع المرور عبر الحائل الذي وضعه في محطة القطار للبحث عن أسلحة في حقائب الغجر:

"ابتسمت وهي تلتفت نحو الشرطيّ المسلّح. وماذا لو عزمتك أنا، هل تقبل منّي ذلك؟ ستستمتع حقيقة بوقتك، في المشاهدة، والفرح مع الغجر".[35]

فالغجري يعطي كلّ ما يريده الآخر، من أجل الوصول إلى غرضه ونيل غايته. فعندما سُجن والد أنجلينيا، ويئست من خوسي الذي كان يدّعي بأنّه يحبّها تقول له:

"ومن طلب منك الدفاع عنه! سأدافع عن أبي وحدي حتّى الموت. منحني عمره، أمنحه ما ينجّيه من المقصلة حتّى ولو قدّمت رأسي بديلاً عنه. وسأجد أكبر المحامين هنا، في إسبانيا، في باريس لإنقاذه. لن أسلم في والدي أبداً. سآتي بالنقود من أيّ مكان، حتّى ولو اضطُررت إلى السرقة، أو ارتياد الشوارع كما الكثيرات. لي جسد مشتهى، وما يزال يُغري الرجال". [36]

نرى أنجلينيا تهدّد خوسي ولاتريد منه مساعدة لإنقاذ أبيها، فهي التي ستعالج الأمر وتخرجه من السجن، بأي ثمن كان، حتى لو اضطرت إلى السرقة وارتياد الشوارع لإغراء الرجال وبيع جسدها، فهذا أمر لاتعير له اهتماماً كغجرية.

2-4. أوصاف الغجر

يصف الكثير من الباحثين الغجر بأوصاف مشتركة، كترحالهم الدائم وانتقالهم من مكان إلى آخر، وتعرضهم للقتل والسلب والنهب، وحملهم الأمراض والموت.

1-2-4. ترحال الغجر

لا شك بأنّ للغجر أسباباً وذرائع يستندون إليها لترحالهم وانتقالهم من مكان إلى آخر، ويرى جمال حيدر بأنّ تعرضهم للغزاة هو السبب الأهمّ لترحالهم وانتقالهم هذا، حيث يقول: "وقد تعرّض الغجر لتلك الموجات نتيجة تواجدهم عند المنافذ التي يمر بها الغزاة من الشمال، وفي ممرات ووديان جبال هندكوش وعلى سفح جبل بامير، الذي يطلق عليه "سطح الأرض" ولعجزها التام عن صد الغزاة، نزحت قبائل الغجر من ديارها متجهة نحو أفق مجهول دونما هدف... لتدوّن الصفحة الأولى في كتاب هجرتها المتواصلة" [37]إذاً من عادات الغجر، عدم بقائهم في مكان أو منطقة ما، حيث إنهم في ترحال دائم وانتقال مكرر من مكان إلى آخر. ففي رواية "الغجر يحبون أيضاً"لواسيني الأعرج نرى صفة الترحال هذه تبرز بصورة ملموسة إذ يقول الراوي:

"وحدهم الغجر يعرفون أنّ للجسد طعماً وللذاكرة رائحة، أو روائح. يرتحلون بلا هوادة حتّى تتوقّف ساعة القلب" [38]

ولعلّ أفضل وأبرز ما جاء في وصف ترحال الغجر، هو النصّ الذي يذكره واسيني الأعرج قائلاً:

"بين سفرٍ وسفر نكبر بسرعة/ ينشد القلب أحلاماً تركناها/ وأخرى على الحافّة تنتظر/ نحن الغجر لا نملك أحظية، ننتعل الريح والغيوم/ نطير حيث نشاء، ونبيت حيث القلب يريد/ بيتنا فضاء، وسقفنا سماء/ أرضنا سراب، تنتفي فيه الحدود" [39]

ففي هذا الشاهد تبرز للمتلقي صفة السفر والترحال الدائم من خلال جملة "بين سفر وسفر" وهي صفة الغجر حيث يسافرون من مكان إلى مكان آخر.

4-2-2. الغجر ومسألة القتل

نلاحظ في الكثير من الروايات، ظاهرة قتل الغجريات، وكأنّه لا قانون هناك لحماية الغجر والذود عنهم، إذ كانوا يُعامَلون رسمياً كعبيد يحقّ قتلهم على يد أسيادهم "كانت رومانيا حتّى عام 1856 تعاملهم رسمياً كعبيد، إذ كان لملاك الأرض جميع الحقوق، ومن بينها القتل"[40] نقرأ في الرواية:

"كلّما قرأت هذه الكلمات، تمنّيت لو كنت مثلكِ يا أمّي، بكلّ خطاياكِ التي ليست إلا التعبير المجنون عن حريتك، لكنني كبرت بسرعة في عصرٍ آخر، وأصبحت شبيهة بالآلاف الذين يعبرون بالقرب من بابنا، وبحرنا، وعزلتنا. حتّى عندما فاجأوني بخبر اغتيالك القاسي عند بوّابة الفندق، ومقتل الجاني غارسيا بيكينيو، الذي كان يمكنه أن يكون أبي، على يد عمّو خمنيث، النقابي الأحمر، الذي كان وراءك بالضبط لحظة إطلاق النار عليكِ.. لم أصدّق، بقيت صامتة لأسبوع"[41]

ظاهرة قتل الغجر وتحديداً المرأة الغجرية، في النصوص الأدبية، تبيّن للمتلقّي أنّ هناك أسباباً وبواعثَ تكمن وراءها، فالغجرية إمرأةٌ من دون حماية، ولا ذائد يذود عنها، لذا يتصارع هذا وذاك، لنيلها والاستحواذ عليها، فما إن تُبدي علاقتها لأحد، حتّى تُقتل بسبب الإغارة والحسد، كما هو الحال مع أم أنجلينيا. نرى في هذه رواية أيضاً أن غارسيا زوج أنجلينا، يطلب من خوسي أورانو، بطل مصارعة الثيران في وهران، قتل زوجته أنجلينا، لأنّها غازلته أثناء أداءها دور العاشقة في مهرجان المصارعة، فهذا أقلّ ما يطلبه غارسيا من خوسي:

"قال غارسيا وهو يردّ تلقائياً على آخر كلام أنجلينا - تخيّل يا سيّد خوسي أورانو. هذه القحبة المجنونة، زوجتي الحبيبة! تستحقّ القتل الآن، ويُساح دمها أمام الجمهور[42]"

وفي أثناء الأداء طلبت منه انجلينيا أن يقتلها، ولم يعرف خوسي هل كانت هذه الجملة من ضمن أداءها في المهرجان، أم أنه طلب حقيقي، حتّى أنه ذهل من طلبها هذا ولم يعرف ما إذا كانت جادّة في ما تقول، أم أنّ قولها مجرد مزحة، حيث تقول لخوسي:

" ماذا تنتظر يا خوسي؟ ألا تدخل شفرتك في رقبتي كما تعوّدت أن تفعل ببرودة مع الثيران؟ أدخلها، لن يحاسبك أحد، مجرّد حيوان قتيل أو ضائع. إفعل، لا تتردّد.."[43]

أنجلينيا الشخصية الأكثر جدلاً في الرواية، تروي لنا معاناة الغجر وتُشبّههم بالثيران، فقتل الغجر وسفك دماءهم جريرة لا يُعتدّ بها، كما لا يوجد هناك من يطالب بدمهم، فهذه المسألة ليست حديثة بل كان الغجر عرضة للاضطهاد طيلة التاريخ:

"يُقال إنّ جدّها قُتل في محتشد بوزنفالد مع حوالي نصف مليون غجريّ، أُبيد الكثير منهم بغاز زيكلون الذي استُعمل لاحقاً في غرف الغاز. مساكين أبناء الريح! أنا أحبُّها" [44]

فلم تطالب مؤسسات حقوق الإنسان، النازيين وغير النازيين، بما فعلوه بالغجر من إبادات جماعية، ولم تتحدّث عنها، ووقع آلاف الغجريين ضحية هذه الجريمة النكراء، وعندما نمعن في حوار أنجلينيا مع خوسي نرى بأن الغجري يُقتل بمجرد حصول شك في انتماءه لجماعات أخرى:

"-ماذا لو علمت أنّ أنجلينيا مهرّبة أيضاً؟ وأنّها تشبه والدها في تعاطفها مع الإرهابيين؟ هل كنت ستغفر لها أم تقتلها؟

صرخ، بلا أدنى تفكير: أقتلها.

نظرت إليه بعينَيْها الغجريّتيْن المائلتَيْن الحادّتيْن. وسحبت سكّينها. وضعتها على الطاولة بعنف. - خذ. افعل ما يفعله الأغبياء الذين لا لغة لهم إلا الموت، مثل الكثيرين عندنا" [45]

كانت أنجلينيا عصبية المزاج، إذ لا تطيق الاتهامات التي يلصقونها بالغجر، فقد كانت جماعات الغجر تتأوّه حزناً ووجعاً من التمييز العنصري الذي تشهده في مجتمع وهران. ثمّ إن أنجلينيا تجرح كفها عندما رشقت السكين بعنف على الطاولة، وتقول:

"ثمّ أخذت السكّين بعنف مرّة أخرى، ورشقتها على الطاولة الخشبية، لدرجة أن جرحت كفّها. فسال الدم غزيراً.

-أرأيت هذا الدم؟ هو أرخص الدماء. أبناء وبنات الريح. تقتلني، لا أحد يحاسبك. افعل. خلّصني ممّا أراه وأعيشه. مجرّد غجريّة، وفوق هذا مهرّبة أسلحة! ربّما تُعطى درعاً وطنياً كبيراً من مرتبة الشرف، لأنه بفضلك، ستعيش الأمّة بخير، بعد أن قضيتَ على الإرهابية أنجلينا، ابنة الإرهابيّ إيميليانو المدعوّ زباطا" [46]

ترى أنجلينيا أنّ دماء الغجر رخيصة لدى القوميات الأخرى، حتّى في وهران، حيث لا يتقبّلهم أحد كإناس ولا يعترف بوجودهم، لذا تقصّ على خوسي ما شهده الغجر وعاناه من ظلم وتشريد وقتل:

"مِسّني في عينيّ، لكنْ والدي لا. أنت لا تعرف شيئاً عنه. كان رجلاً عظيماً. ذهب حتّى المكسيك فقط ليقف على قبر زباطا. سُجن أكثر من مرّة. ترك عمله، واشترك في الثورة الإسبانية من عشرين سنة. آمن حقيقةً بالثورات الشعبية لا ثورات الصالونات. لا يحبّ القنابل التي توضع في المقاهي وتقتل العشرات من الأبرياء، لكنّه على العكس منك، يرى أيضاً بعينه الثانية جرائم الذين سمحوا لأنفسهم بكلّ شيء، سرقة الأراضي، القتل المجاني، التّشريد، قنابل النابالم في الجبال التي رأيناها. على العكس منك، نحن نجوب البلاد طولاً وعرضاً، ونعرف الذين لا تعرفهم. ابقَ مع ثيرانك، حبيبي، ومع عشيقاتك!"[47]

لا توجد رواية تتحدّث عن الغجر إلّا وفيها صور من القتل وسفك الدماء، ففي أكثر المشاهد، نرى بأن المرأة الغجرية هي التي تكون ضحية مجتمعها، كما أن الكاتب يصور للمتلقي بأن الغجري لايكون مقتولاً فحسب بل يكون قاتلاً أيضاً. لا شك بأنّ قتل الغجر نراه ملموساً في تسلسل أحداث الرواية العربية، لكنهم أيضاً يرتكبون الجرائم لأتفه الأسباب، ففي رواية "الغجر يحبون أيضاً" نرى أنجلينيا تهدّد خوسي بالقتل قائلة:

"وقتها، سأعرف أنّك لم تَعُد تحبّني، وسأقتلك أن" [48]

ظاهرة القتل بين الغجر وباقي الجماعات تتواجد بصورة بارزة في رواية "الغجر يحبون ايضاً"، فقد نرى أبطال هذه الرواية يهددون بالقتل دون أن يرفّ لهم جفن، ومن هنا يظهر النسق المضمر عند الروائي حيث نرى علاقة الغجر بسفك الدماء بصفة قاتل ومقتول. نقرأ:

"فجأة استلّت سكّينة رقيقة وطويلة من لباسها التحتيّ... في هذه الحالة، عليك أن تترحّم على كريستينا. أنت الذي لم يؤمن يوماً إلا بالإنسان. والله سأقتلها ثمّ أرميها بالقرب من حظيرة الخنازير التي يربّيها أبونا أوغوستينو" [49]

كانت أنجلينيا تبحث عن طريقة لقتل غارسيا:

"لو لم أكن حاملاً بحبيبتي إزميرالدا، كنت ذبحته. أسهل شيء أن تقتل رجلاً" [50]

غارسيا كان زوج أنجلينيا وكان مدمناً على شرب الكحول وشخصاً عصبي المزاج، الأمر الذي جعل أنجلينيا تبحث عن مفر منه، بيد أن حملها بحبيبتها إزميرالدا هو الذي يمنعها عن قتل زوجها.

3-2-4. الغجري السارق

بما أنّ الغجر يمتهنون الكثير من المهن، فمن الغريب أن نراهم يسرقون، لهذا بيّن لنا عبادة كحيلة المؤرخ المصري قائلاً: "والحدادة والمهن الصادرة عنها، جعلت الغجر في حاجة إلى مجتمع في حاجة إلى مهنهم، وجعلتهم ايضاً في مستوى معاشي أعلى مما لدى عامة الناس وسوادهم، وحين كانوا لا يجدون مجالاً لمزاولة مهنهم، أو يجدون كساداً لها فإنهم ينصرفون إلى الإحتيال على رزقهم، وقد يسرقون أو يقطعون الطريق، أو يشغبون على السلطة[51]" يرى الكثير أنّ الغجر يقومون بسرقة النقود في الشوارع، كما حال أنجلينيا، بطلة رواية "الغجر يحبون أيضاً" فرغم أنّها لم تسرق، لكنّ المرأة أتهمتها بالسرقة لأنّها كانت غجرية:

"أنقذوني. سرقني الغجر. المتوحّشون سرقوا حقيبتي اليدويّة وكلّ نقودي... يبدو لا رجال في المدينة إلا المسوخ. أعرفهم.." [52]

من هنا يتحوّل الخلاف الحاصل إلى نقمة وخصام "حين يكون الهدف إهانة الآخر المختلف، وإقصاءه، كي تؤكّد الذات استعلاءها، حيث ترسم في هيئة من يمتلك الحقيقة المطلقة، وبذلك يقرأ الآخر قراءة مغلقة على قول واحد، يرسم صورة مشوهة له، فتشيع ثقافة الكراهية" [53]فعندما جاء الشرطي وفتّش أنجلينيا لم يجد حقيبة المرأة، لذا عندما طلب من المرأة أن تبحث عن حقيبتها بين سلع أنجلينيا، وجدت تلك الحقيبة وقامت بشتم أنجلينيا وطلبت من الشرطي اعتقالها لأنها أهانتها، ومع كل هذا تعترف أنجلينيا أنها تغني ولاتسرق واذا أرادت أن تسرق فانها لا تسرق إمرأة أبداً:

"أنت تعرف يا بابا أنّي أغنّي وأحلم، لا أسرق، وإذا سرقت لا أسرق أبداً امرأة" [54]

في الكثير من الروايات العربية نرى الغجر متّهمين دائماً وبغيضين، لهذا في رواية "الغجر يحبون أيضاً" عندما وجّه غارسيا تهمة لخوسي على أنه سرق زوجته، اضطرّ خوسي للذهاب إلى المخفر برفقة محاميه، ثمّ قال الشرطي بعصبية بالغة:

"لولا هذه الشكوى الخرا، لكنت الآن مع زوجتي و ابنتي في بونا الجميلة. خرّبت عليّ كل شيء. كلّما حدث مشكل، لا بدّ أن يكون وراءه عربيّ، أو غجريّ، أو إسباني.." [55]

إذن لاتقسو وهران على الغجر وحدهم، بل يتّهم الاستعمار جميع الأطراف عدا الفرنسيين، مع هذا فالغجر هي أكثر جماعة تعاني من التمييز العنصري. ومشكلة الغجر هو الحكم عليهم بعدم انتماءهم إلى البلاد التي يتواجدون فيها، مما نشر عنهم سلبيات وأكاذيب كاللصوصية وغيرها، فبعض شبابهم يلتجأون حقيقة إلى مثل هذه الأفعال.

4-2-4. الغجر والإفساد

يرى الكثير أنّ الغجر عاثوا في المدينة فساداً، لأنّهم لا ينتمون إلى الحضارة الإنسانية. ففي الرواية نرى امرأة فرنسية تتّهم الغجر بإفساد المدينة:

"نعم. الآن. قبل دقائق. عندما أردت أن أدفع، لم أجد حقيبتي. من يسرقني غير هؤلاء الذين أفسدوا المدينة" [56]

ثمّ عندما تطلب أنجلينيا من العجوز الفرنسية أن تفتشها، تقول لها العجوز:

"يُفتّشك الشرطيّ. لن أوسّخ يدي بغجرية سرّاقة" [57]

فتصل العنصرية والحقارة تجاه الغجر، إلى ذروتها، حتّى أن أنجلينيا التي لا تخاف أحداً وتطالب بحقوقها دائماً، تسمّرت أمام هذه الجملة، واستغربت من كره هذه المرأة الفرنسية للغجر. ثمّ نرى الكثير من الأمور السلبية التي تتعلّق بالغجر:

"الأطفال الذين عُثر عليهم على حواف الكوريدا، ملفوفين في ورق الصحف، أو حتى داخل غطاءات قطنيّة، موضوعين بالقرب من أحد أبوابها. في كلّ مرّة، يجدون طفلاً هناك، والكلّ يتّهم الغجر أنّهم يلدون بلا عاطفة ولانظام. المرأة الغجرية تمنح نفسها لأيّ عابر، وعندما تحمل منه تختفي حتّى تَلِد. بعد أسبوع، تلفّ المولود في أغطية صوفية، أو في أي شيء يقيه من البرد والعرى، وتضعه عند مدخل الكوريدا باكراً، وتظلّ تراقب العابرين الكثر، المُتوجّهين إلى أعمالهم أو نحو المارشي، حتّى تطمئنّ أنّ أحداً منهم أخذه" [58]

فهذه شائعات لا أكثر، وبما أنّها تتوالى حول الغجر البغيضين، فمن الموكد أنّ الكثير سيصدّقها، إلى درجة أنّ كلّ من يجد طفلاً ينسبه إلى الغجر.

ثمّ لم تكن قضية السرقة والتعنّت والصراع هي الوحيدة التي ينسبونها إلى الغجر، بل حتّى أنهم يرون الغجر مصدراً للأمراض والأوبئة والروائح الكريهة، وهذا جليّ في كلام العجوز الفرنسية التي اتهمت أنجلينيا بسرقة حقيبتها، عندما تقول:

"أجساد الغجر مريضة، وبها رائحة كريهة" [59]

فكل هذه الاتهامات، والتعنت بحقّ الغجر، هو ناتج عن أنساق مضمرة بين الشعوب تجاههم. حتى أنّ المجتمعات التي شهدت حضور الغجر تظن أنّه لا عواطف إنسانية لهم، ولا تغار الزوجات على أزواجهن حتى، وقد رُوي هذا في رواية "الغجر يحبون أيضاً":

"صرّحت في إفادتها أنّها غازلت زوجي أمامي، حتّى إنّ قاضي التحقيق قال لها مازحاً بثقلٍ وسماجة: متى كان الغجر يغارون على أزواجهم. سألتها وماذا قلتِ له. قالت: ضحكتُ. قلت له: نعم يغارون. هم أيضاً لهم عواطف إنسانية". [60]

فحتّى القاضي الذي من واجبه عدم الانحياز إلى جهة معينة، نراه ينحاز ضدّ الغجر، ويتهمهم بعدم المشاعر والغيرة.

5-2-4. الغجر والتهريب

يتفق الكثير من الروائيين، على أنّ الغجر يهرّبون المخدرات، والمتفجرات والأسلحة، وباقي الأدوات، ويبرزون هذه المسألة بصورة واضحة وجليّة في نصوصهم ويعطونها أكثر من حجمها. ففي رواية "الغجر يحبون أيضاً" نرى تهريب الدخان والكحول أمراً شائعاً لدى الجميع، بيد أنه بمثابة جريمة نكراء إذا تعلّق الأمر بالغجر:

"هو زوجي، بغل، لا يصلح لأشياء كثيرة، باستثناء تهريب الدخان والكحول" [61]

ثمّ تعجّب خوسي عندما اعتُقل "زباطا" بجرم تهريب الأسلحة والقنابل:

"لماذا صمتت أنجلينا ولم تُخبرني؟ استعملتني بغباء؟ الغجريّ يبقى غجرياً في أعماقه مهما حاول التنصُّل؟ المال ولا شيء غير المال والتهريب؟ لماذا يا زباطا؟ ماذا كان ينقصك؟ تربية وتدريب الثيران أغنتك، وتقاعدك كبير. لم تكن فقيراً لتبيع الأسلحة لقتل الأبرياء. قنبلة في مقهى فندق مارتينيز أخذت في طريقها عشرة أفراد أبرياء" [62].

كانت تهمة لا أكثر، ألصقت بزباطا، للتخلّص من قدراته ونفوذه في الأوساط الغجرية، مع هذا لايصدّق خوسي كلام أنجلينيا، ويظنها كاذبة مع أنها لم تكن كذلك، ثم يقول:

" ماذا أقول؟ ما داعه إلى كلّ هذا؟ لا أفهم. ألم يجد مهنة أنبل من تهريب الأسلحة، ولمن؟ للإرهابيين، يا إلهي! أين نحن؟ كيف يقف مع قتلة الناس االبريئيين؟ هل هو في صفّنا أم في صف الإرهابيين والقتلة [63]***؟"***

عندما ذهب خوسي للبحث عن أنجلينيا، وجد "ميغيل" يدير حفلة رقص في السوق، وما ان انتهى حتّى سأله عن أنجلينيا، ثمّ أخبره بالقصة كاملة، وأخذ يشكو زباطا وما قام به من تهريب الأسلحة والقنابل للإرهابيين:

"-أعتقد أنّ التّهريب هو ما دمّر والدها. هل كان مضطراً إلى ذلك؟ تهريب الأسلحة؟ على كلّ...

-يا سيد خوسي.. أنت لا تعرف من الأمر إلا الظاهر. غارسيا حاقد على إيميليانو حقداً كبيراً. التهريب شيء آخر، وهو مهنتنا الوحيدة المتبقية لنا للعيش، لكيلا نتحوّل إلى قتلة وسرّاقين" [64]

فمهنة التهريب عند الغجر كانت تشمل أشياء بسيطة للعيش لا أكثر، ومع هذا يوجهون لهم شتى الاتهامات، من تهريب للأسلحة والقنابل والمخدرات.

4-2-6. الغجر والكذب والخيانة:

يظهر الغجر في كثير من الروايات، في هيئة الكذب والخيانة، كما نقرأ في رواية "الغجر يحبون ايضاً" حيث يرى خوسي بأن أنجلينيا كذابة:

"مجنون من يصدّق غجريّة. والله مجنون! وممكن غبيّ أيضاً! نعم، أنا غبي. كان خوسي يمشي في البيت، ويهزّ رأسه. كيف لامرأةٍ، بهذا الجمال الساحر، أن تكذب؟" [65].

في الواقع لم تكن أنجلينيا كاذبة كما يظن خوسي، بل هي أصدق شخصية في الرواية، ولكن النسق المضمر للمجتمع الوهراني يرى بأنّ الغجر يكذبون، والكذب والخيانة هي من خصائصهم:

"شعر كأنّها خانته في كبريائه وثقته. غجريّة كبقيّة الغجر! لم يقلها! لكنه فكّر فيها" [66]

ليست الخيانة في المجتمع الغجري تختص بالنساء فحسب، بل حتى الرجل الغجري أيضاً يخون أخاه وأبناء جلدته وبني ذويه، فالخيانة في المجتمع الغجري هي ديدن الرجال والنساء معاً، نرى في الرواية غارسيا يخون زباطا الذي كان والد زوجته أنجلينيا، تقول أنجلينيا لخوسي:

"خانه الكلب غارسيا بسببي. لم أتوقّع أن يفعل هذا. كنتُ دائماً أظنّ أنَّ العِشرة وأخلاق الغجريّ تمنعه من ذلك. غارسيا لم يسامحني أنّي معك، وأنّك حبيبي، وأنّه لم يَعُد يعني لي أيّ شيء في حياتي. خرج منها إلى الأبد. كرهني وكرهته أكثر. هو من وشى بزباطا، أبي حبيبي. هل تعرف ماذا يعني هذا؟" [67]

قد يخون الغجري أيّ أحد للحفاظ على منافعه، كما نرى غارسيا زوج أنجلينيا عندما يشي بوالد زوجته زباطا، كي يزج به في السجن ويخلو بأنجلينيا ليقتلها لأنّها أحبّت خوسي وتحاول تركه.

4-3. الآخر الغجري في عيون الأنا الغجري

تنرسم في سريرة كلّ إنسان صورة من نفسه، فيرى نفسه وما يحدق بها من معضلات ويكتنفها من ويلات، ففي رواية "الغجر يحبون أيضاً" تروي أنجلينيا معاناة الغجر قائلة:

"أنا من بيت يرفض الظلم. من أمّ غرناطية وأبٍ من أهالي وهران. عائلتي تعرّضت لكلّ الويلات، كغيرنا من غجر هذه البلاد، من محتشدات النازيّة، وتجريب غاز زيكلون ب، في جهنّم بوزنفال، إلى التعقيم حتّى لا تَلِد نساؤنا. والدي يتساءل كثيراً كيف نقذت عائلتنا الصغيرة من هذا

الخراب القاسي. ربّما لم يكن يحمل وثيقة المرتحل الأنتروبوميتيريك التي تثبت أنّه متحرّك، غير مستقرّ في مكان معيّن، وكانت تُمنح للغجر لتبرير هويّاتهم، ولم نخضع لقانون 16 جويليه 1902" [68]

تروي أنجلينيا للمتلقي، في هذه الأسطر القليلة، ما ألمّ بالغجر من بلايا وملمّات، كتعرّضهم للويلات، وقتلهم في المحتشدات النازية، وعُقم نساءهم، وفرض القوانين الصارمة عليهم، فمن ينجو من هذه المهالك المحدقة به، ستكون بقية المجتمعات بمثابة الجنة والمدينة الفاضلة له. ترى أنجلينيا بأنّ الغجري، لكونه غجري، هو ضحية مجتمعه ويعامَل كالحيوانات، فتوجب إبادته لأنّه يشوه الجنس الراقي:

"باعونا يا عزيزي خوسي. أنت لا تشعر بهذا الظلم وهذه القسوة. تخيّل نفسك للحظة، تأتي يدٌ عسكريّة وتشحنك في شاحنة ثقيلة، ثمّ تُرمى في باخرة لنقل الحيوانات إلى فرنسا، وعندما تفتح عينيك تجد نفسك في محتشد داشو، ومن هناك، إلى محتشدات الموت والمخابر النازيّة التجريبيّة على أجسادنا. لم يكن مهماً أن تكون فرنسياً، فأنت في النهاية محسوب على الغجر ولهذا، وُجب أن تُباد، لأنّك تشوّه الجنس الراقي. صحيح أنّي غجريّةٌ لا تعرف المخاطر أو لا تعيها" [69]

فقتل الغجر، والمخاطر التي تحدق بهم، واضهادهم من قبل النازيين، أصبح من الجرائم التي باتت شبه منسية لدى المؤسسات العالمية لحقوق الإنسان، لذا يوظف الروائي شخصية أنجلينيا، ليروي هذه المعاناة والمصائب التي حلّت بالغجر، وبالأنا الغجرية، ويبرزها بصورة واضحة وملموسة للمتلقي من خلال تسلسل أحداث رواية "الغجر يحبون أيضاً". يروي لنا الأعرج، أنّ الخيانة لدى الرجل والمرأة الغجرية ظاهرة طبيعية، ولا يغار أحدهما على الآخر، فها هي حبيبة خوسي تعلم بخيانة حبيبها ومع ذلك لاتريد فراقه، حتى ولو كان الثمن وجود إمرأة سافرة معه:

"تقدّم منه غارسيا بيكينيو.

- تعرف كم أحبُّك يا خوسي، لأنّك رشيق وابن مدينتي! لا بأس أن تخونني هذه القحبة معك، لكن لا أقبل أن تتركني وتذهب معك[70]***"***

يصور لنا الروائي أنّ غارسيا، وهو رمز للرجل الغجري، لا يغار ولا يمانع ما إذا كانت زوجته في أحضان رجل آخر:

"عندنا تسليم بضاعة، الليلة، يا أنجلينا. أبوك سيقتلنا إذا خذلناه. الأحصنة محمّلة. ننتهي من الشغل، وبعدها عودي له إذا أحببتِ [71]

فغارسيا هو الذي يطلب من زوجته أنجلينيا الذهاب إلى حبيبها خوسي، كما ترى أنجلينيا أنّ حياة الغجر زفت وكارثية، فهم يستمتعون بأكل لحم بعضهم بعضاً ولا يرحم أحدهم الآخر، لذا تبدي نقمتها عليهم وعلى معيشتهم القاسية، وتريد الانتقام منهم:

"شايف يا خوسي. هكذا، ستبقى معي ولن تهرب منّي. هذا كلّه من بؤس الغجر. أنا أدافع عنهم، لكنّ حياتهم زفت وكارثيّة. يستمتعون بأكل لحم بعضهم بعضاً. أنا الليلة ناقمة على كلّ ما يحيط بهم، وبربّ ثقافتهم الكارثيّة. اللعنة عليهم وعلى معيشتهم القاسية. لابدّ أن أنتقم منه الليلة" [72]

ثمّ تذكر انجلينيا الدوافع والاسباب التي أدّت إلى إبادة الغجر قائلة:

"فتّشيني يا وسخة. لا تختلف رائحتك عن رائحة النازيين. ألم نكن آريّين من أصول هنديّة؟ ومع ذلك ذبحونا. فعلوا ما تفعلينه الآن معي. اعتبرونا جنساً منحطاً، لأنّنا اختلطنا كثيراً مع غيرنا من الأقوام. آريّون فاسدون. لهذا، كان مصيرنا في النهاية المحتشدات الجهنمية. وحوّلونا إلى فئران تجربة لغازات الموت التي أبادتنا بشكل كلّي. طبعا لا تعرفين هذا، لأنّ كتبك المدرسية لا تتحدث عن هذه الإبادة الجماعية" [73]

في وهران وهي المدينة الخاضعة للسلطة الفرنسية، تتحدّث أنجلينيا عن عرقها الغجري الآريّ الهندي، فهذه الجماعة من الغجر، سُمّيت بالمانوش في فرنسا والجزائر "وهم البوهيميون التقليديون. واسمهم يعني في اللغة السانسكرتيية (الأصليين)، وهم يسمون أيضاً السينتي لأنه يحتمل أن يكونوا من أصل هندي، وفروا من على شواطئ نهر السند وينقسمون إلى عدة جماعات فرعية. ويُلاحظ أن هناك جماعات غير غجرية تحاول الانضمام إلى الجماعات الغجرية مثل صانعي السلال، آو مصلحي الكراسي، أو بائعي الأدوية الزائفة، أو المشعوذين، أو البهلوانات، وتحتقر جماعات الغجر هذه الجماعات المنتسبة لهم" [74] ثم تكمل أنجلينيا قائلة:

"في المرّة القادمة، التفتي جيداً قبل أن تتّهمي الغجر. لسنا سراقاً. ناس يحبّون الحياة، ولا يعتدون على أحد، لكنّهم لا يقبلون الذل أبداً" [75]

فتبيّن للمتلقي أنّ الغجر ليسوا سراقاً ولايعتدون على أحد كما يظن الغير، فهم إناس يحبون العيش والحياة كما يحبها غيرهم، ويأبون الذلّ كما يأباه الآخرون، لكنّ المجتمعات الأخرى، بنظرتها الدونية لهم، جعلتهم يتشدّدون على مبادئهم وقيمهم.

4-3-1. ثقافة الغجر

تبحث الروايات عادة، عن شرح لثقافة الشخوص والخصائص التي تميزها عن غيرها، وهذا ما نراه في الروايات التي عالجت قضايا مرتبطة بالغجر، فمثلاً في رواية "الغجر يحبون أيضاً" نرى اهمية المرأة عند الغجر، وثقافتهم في المحبة، كما يرويها لنا الروائي:

"ضربني على وجهي بعنف كبير، كأنّه كان يريد قتلي. انتابته حالة غيرة أعجبتني في البداية. في ثقافتنا الغجرية، المرأة التي يغار عليها زوجها يعني أنّها مرغوبة؛ والعكس صحيح، المرأة التي لا ينتبه زوجها للذين يحومون من حولها، معناه لا يحبُّها" [76]

فغيرة الرجل الغجري على زوجته او حبيبته وضربه لها، يدلّان على الحب والمودّة الكامنة بينهما، بينما الرجل الذي لايغار على زوجته ولا ينتبه للذين يحومون حولها، فهذا معناه أنها غير مرغوبة لديه ولا يكنّ لها محبة. ما زال الغجر يفضلون الزواج التقليدي المنحصر بهم، كما لا ينتشر بينهم الطلاق ويستعيذون به بما يسمّى بالـ"كروا" وهو ما يشبه التآخي بين الزوجين في حال ملّ أحدهم الآخر، ففيما مضى كان الغجر يحرقون خيمة المتوفى بما فيها من اغراضه، وملابسه، وما يملكه، بيد أنّ هذه الضاهرة ضئلت شيئاً فشيئاً، حيث سكن أكثرهم البيوت الإسمنتية. وبالرغم ممّا قيل ويشاع عنهم من صفات غرائبية، إلّا أنّ

مجتمعهم يبقى من المجتمعات التي حافظت على نفسها من الاندثار، من خلال تمسكهم بثقافتهم التي حملوها على ظهورهم وجابوا بها أرجاء المعمورة.

4-3-1-1. العذرية عند الغجر

للعذرية أهمية بالغة لدى الغجر، فالفتاة الغجرية، عند زواجها، تخضع لطقوس العذرية على يد نساء القبيلة:

"في الحقيقة، استجبت لطلب والدي، لأنّه كان يعمل معه، وكان مقرّباً منه أنا نفسي لا أدري كيف قبلت به! ومن أجل الزواج منه، أخضعتني عائلته لكلّ طقوس العُذرية التي كنت أكرهها عند الغجر. لم أكن أريد أن أُحزِن أمّي وأحوّلها إلى مسخرة، فقد بكت كثيراً في حياتها" [77]

تروي أنجلينا قصة حياتها، وتصرفاتها الجنونية، لحبيبها، إلّا في مسألة العذرية، فإنّها تصرفت بصورة عقلانية، رغم كرهها لهذه الطقوس، فقد حافظت على عذريتها، كي لاتحزن أمها وتحولها إلى مسخرة الآخرين، ولأنها تعرف بأنه ستكون مجبرة، في يوم من الأيام، للدفاع عنها:

"قمت بكلّ الحماقات إلا عذريتي. حافظتُ عليها، لأنّي كنت أعرف سيأتي يوم وأكون مجبرة على الدفاع عنها. في أعماقي، كنتُ خائفة من فقدها، لانّي في مرّة من المرّات، فتحتُ رجليّ أكثر من اللازم و أنا أرقص، لدرجة أنّي شعرتُ بألمٍ وتمزّق، لكني عندما فحصت نفسي لم أردماً.

- ما هذا الهراء؟ أين نحن؟ كأننا نعيش في كوكبين مختلفين.

- أظنّ ذلك بالفعل. أنت لا تعرف شيئاً عنّي، إلا الرقص والرغبة المجنونة في الحياة. لكن، أنا يا عزيزي خوسي، لا نصير لي عندما أقع بين أيدي نسائنا اللواتي يختبرن عذريتي، إلّا تحمّل البهدلة. سيبدو لك الأمر غريباً! وعندما أثبتُّ عذريتي التي كنتُ خائفةً من أن تكون قد ضاعت، ونجحتُ في امتحان الفحص. ومنحتُ المنديل لأمّ غارسيا التي فرحت به جدّاً، لأنّها تأكّدت من أنّ كنّتها عذراء" [78]

فرغم السفور والفساد والدعارة التي تحيط بالغجر، إلّا أنّ هناك قوانين صارمة يجب على الفتيات العذراوات الإلتزام بها، وأن يصنّ أنفسهنّ ويخضعن للفحص العذري عند زواجهنّ.

4-3-1-2. الاغتصاب عند الغجر

كثيراً ما نقرأ عن اغتصاب الفتيات في الوسط الغجري، وكأنّه أصبح أمراً عادياً. تروي لنا أنجلينا، قصة اغتصاب غارسيا لها، والذي أدّى إلى زواجه منها، حيث تقول:

"تعرف أنّي لا أريد أن أنام معك الليلة بالتحديد. ليس لكوني لا أجد شيئاً فيك، ولكنّها فترة إخصابي، وأكون في وضع غير سليم.. حبيبي. اعذرني الليلة، أرجوك. تذكّرت ليلتها كيف اغتصبني بعنف، ذات مرّة وهو في حالة سكره الشديد، في عزّ حالة هياجه. كتّفني مثل خروف، وقام معي بكلّ ما يُمكن أن يفعله مغتصب، وبيّتني مكتّفة ومربوطة على السرير. وكلّما أرادني، فعل بي ما اشتهاه حتّى إنّي لم أعُد أحسّ به" [79]

تعيش مع الغجر، بعاداتهم وتقاليدهم، جماعة ليست من الغجريين، تسمى "غادجو"(Gadjo)، تُعرف باغتصاب الفتيات الغجريات، فتروي لنا أنجلينا:

"زوّجوني شابّة خوفاً من أن أسقط بين ذراعي غادجو ملعون يلعب بعقلي، وهم كثر ويعيشون بيننا، بعاداتنا وتقاليدنا" [80]

ليس الآخر وحده من يغتصب الغجريات، بل هناك من الغجر نفسهم من يقوم بهذا الاغتصاب، ففي رواية "الغجر يحبون أيضاً" نرى غارسيا وهو يحاول اغتصاب زمردة:

"حاول اغتصاب زمرّدة، لكن فتح وجهه بضربة سكيّين حادّة" [81]

وزمردة هي الفتاة الغجرية التي وقع في حبها قبل زواجه من أنجلينيا.

5. النتايج

رواية "الغجر يحبون أيضاً"، من الروايات التي حاول الأعرج، من خلالها، الخوض في المعاناة التي ألمت بالطائفة الغجرية، والتطرق إلى الطقوس والعادات الخاصة بها، والتمييز العنصري الممارس ضدها، وإبرازها بصورة بيّنة وملموسة للمتلقي، وقد وظّف الروائي التاريخ واستمد منه للقيام بهذه المهمّة، كما أنّه حاول أن يروي قضايا مرتبطة بالغجر من خلال نظرة الآخر الفرنسي له، فقد كان من الطبيعي أن يعامل الآخر الفرنسي، بصفته المحتل لوهران، الغجر والعرب هذه المعاملة الشنعاء، كما أنّ هناك نظرة أخرى للآخر الغجري، وهي نظرة الغجري لنفسه، حيث كانت هذه النظرة، نظرة دونية، تهاجم العادات والقيم الغجرية، وتنظر إلى الغجري بعين السخط والكراهية، حيث تبدي نقمتها عليهم وعلى معيشتهم القاسية، وتتربص للانتقام منهم.

---

[1] . رجب، محمود، (1981م): **المرآة والفلسفة**، حوليّات كليّة الآداب، الحوليّة الثانية، جامعة الكويت، دط، ص015

[2] . أسعد، ميخائيل إبراهيم، (1987م): **شخصيتي كيف أعرفها؟** ط3، بيروت: دار الآفاق ص72.

[3] . حنّون، عبدالحميد، (1986م): **صورة الفرنسي في الرواية المغربية**، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 82.

[4] . كاظم زاده، فاطمه، وعبده عبود، وسعيد بزرك بيكدلي، (2013م): "صورة الآخر في رواية قبل الرحيل ليوسف جاد الحق مجلة العلوم الانسانية، ع 2 (1)، صص 88-73، ص 74.

[5] . عيسى، فوزي، (2011م): **صورة الآخر في الشعر العربي**، التدقيق اللغوي والمراجعة عبدالعزيز جمعة، الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ص5.

[6] . نامور مطلق، بهمن، (2010م): دراسة صورولوجية لتعريف بطريقة نقدية في الأدب التطبيقي، **دراسات في الأدب المقارن**، جامعة آزاد الإسلامية جيرفت، السنة3، العدد12، صص 119- 138. ص122.

[7] . بوحلايس، سلاف، (2009م): **صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري**، أطروحة ماجستير، الجمهورية الجزائرية: جامعة الحاج لخضر ، ص15.

[8] . المصدر نفسه: 16.

[9]. عباسعلي نجاد، مريم وآخرون، (2019م): جدلية الأنا والآخر في أشعار عزالدين المناصرة المقاومة، مجلة **الأدب العربي**، جامعة طهران، السنة11، العدد1، صص1-22. ص7.

[10]. المصدر نفسه: 7.

[11]. ابن منظور، (1303ق):*لسان العرب*، ط1، ج7، المطبعة الأميرية، بيولاق، مصر. مادة أنا.

[12]. حسيبة، مصطفى، (2009م): **المعجم الفلسفي**، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ص 103.

[13]. السليماني، أحمد ياسين، (2009م): **التجليّات الفنيّة لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر**، دمشق: دار الزمان ص 91

[14]. أفاية، محمد نور الدين، (1991م): **الغرب في المتخيل العربي**، الشارقة: منشورات دائرة الثقافة والإعلام، ص11.

[15]. الهروط، بلال سالم، (2008م): **صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية**، أطروحة للدكتوراه، أردن:جامعة مؤتة، ص13.

[16]. علوان، محمود، (2013م): "زط.. غجر.. نور.. حلب.. تعددت الأسماء.. والغجري واحد"، **جريدة فيتو**، جريدة اسبوعية، تصدر عن شركة الاحرار للصحافة والطباعة والنشر، ص2.

[17]. نبيل، صبري، (1980م): **"جماعات الغجر" مع إشارة خاصة للغجر في مصروالبلاد العربية**، ط1، القاهرة: دار الآداب، ص15.

[18]. حيدر، جمال، (2008م): **ذاكرة الأسفاروسيرة العذاب**، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص7.

[19]. ذكاء، يحيى، (1959م): **كولي وزندكي او**، ط1، تهران: هنرهاي زيباي كشور، ص9-10.

[20]. نبيل، صبري، (1980م): **"جماعات الغجر" مع إشارة خاصة للغجر في مصروالبلاد العربية**، ص16.

[21]. ذكاء، يحيى، (1959م): **كولي وزندكي او**، ط1، ص10.

[22]. حيدر، جمال، (2008م): **ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب**، ص 173.

[23]. الأعرج، واسيني، (2019م): **الغجريحبون أيضاً**، ط1، بيروت: دار الآداب ،ص12.

[24]. المصدر نفسه: ص 15.

[25]. المصدر نفسه: ص 19.

[26]. المصدر نفسه: ص 247.

[27]. الحديثي، طه حمادي، (1979م): **الغجروالقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية**، ط1، الموصل: نشر جامعة الموصل، ص10.

[28]. الأعرج، واسيني، (2019م): **الغجريحبون أيضاً**، ص84.

[29]. المصدر نفسه: 209.

[30]. نبيل، صبري، (1980م): **"جماعات الغجر" مع إشارة خاصة للغجر في مصروالبلاد العربية**، ، ص17.

[31] الأعرج، واسيني، (2019م): **الغجريحبون أيضاً**، ص84 -210.

[32] (كحيلة، 1994م: 7).

[33] الأعرج، واسيني، (2019م): **الغجريحبون أيضاً**، ص241.

[34]. نبيل، صبري، (1980م): **"جماعات الغجر" مع إشارة خاصة للغجر في مصروالبلاد العربية**، ص36.

[35]. الأعرج، واسيني، (2019م): **الغجريحبون أيضاً**، ص24.

[36]. المصدر نفسه: 200.

[37]. حيدر، جمال، (2008م): **ذاكرة الأسفاروسيرة العذاب**، ص18.

[38]. الأعرج، واسيني، (2019م): **الغجريحبون أيضاً**، ص 11.

[39]. المصدر نفسه: 16.

[40]. حيدر، جمال، (2008م): **ذاكرة الأسفاروسيرة العذاب**، ص25.

[41]. الأعرج، واسيني، (2019م): **الغجريحبون أيضاً**، ص 12.

[42]. المصدر نفسه: 35.

[43]. المصدر نفسه: 36.

[44].المصدر نفسه: 98.

[45]. المصدر نفسه: 201-202.

[46].المصدر نفسه: 202.

[47] . المصدر نفسه: 203-204.
[48] . المصدر نفسه: 203.
[49] . المصدر نفسه: 149.
[50] . المصدر نفسه: 274.
[51] . كحيلة، 1994م: 7.
[52] . الأعرج، واسيني، (2019م): **الغجريحبون أيضاً**، ص 109.
[53] . حمود، ماجدة، (2013م): إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، الكويت: عالم المعرفة، ص8.
[54] . الأعرج، واسيني، (2019م): **الغجريحبون أيضاً**، ص 147.
[55] . المصدر نفسه: 214.
[56] . المصدر نفسه: 110.
[57] . المصدر نفسه: 110.
[58] . المصدر نفسه: 181.
[59] . المصدر نفسه: 112.
[60] . المصدر نفسه: 150.
[61] . المصدر نفسه: 152.
[62] . المصدر نفسه: 192.
[63] . المصدر نفسه: 194.
[64] . المصدر نفسه: 211.
[65] . المصدر نفسه: 115.
[66] . المصدر نفسه: 191.
[67] . المصدر نفسه: 193-194.
[68] . المصدر نفسه: 52-53.
[69] . المصدر نفسه: 60-61.
[70] . المصدر نفسه: 66.
[71] . المصدر نفسه: 67.
[72] . المصدر نفسه:
[73] . المصدر نفسه: 113.
[74] . نبيل، صبري، (1980م): **"جماعات الغجر" مع إشارة خاصة للغجرفي مصروالبلاد العربية**، ص15.
[75] . الأعرج، واسيني، (2019م): **الغجريحبون أيضاً**، ص 119.
[76] . المصدر نفسه: 86.
[77] . المصدر نفسه: 88.
[78] . المصدر نفسه: 88-89.
[79] . المصدر نفسه: 87.
[80] . المصدر نفسه: 89.
[81] . المصدر نفسه: 274.

قائمة المصادروالمراجع

القرآن الكريم.

ابن منظور، (1303ق): ***لسان العرب***، ط1، ج7، المطبعة الأميرية، بيولاق، مصر.

أسعد، ميخائيل إبراهيم، (1987م): **شخصيتي كيف أعرفها؟** ط3، بيروت: دار الآفاق.

الأعرج، واسيني، (2019م): ***الغجر يحبون أيضاً***، ط1، بيروت: دار الآداب.

أفاية، محمد نور الدين، (1991م): ***الغرب في المتخيل العربي***، الشارقة: منشورات دائرة الثقافة والإعلام.

بوحلايس، سلاف، (2009م): ***صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري***، أطروحة ماجستير، الجمهورية الجزائرية: جامعة الحاج لخضر ، ص17-18.

الحديثي، طه حمادي، (1979م): **الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية**، ط1، الموصل: نشر جامعة الموصل.

حسيبة، مصطفى، (2009م): ***المعجم الفلسفي***، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.

حمود، ماجدة، (2013م): إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، الكويت: عالم المعرفة.

حنّون، عبدالحميد، (1986م): ***صورة الفرنسي في الرواية المغربية***، ديوان المطبوعات الجامعية.

حيدر، جمال، (2008م): **ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب**، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

ذكاء، يحيى، (1959م): **كولي وزندكي او**، ط1، تهران: هنرهاي زيباي كشور.

رجب، محمود، (1981م): **المرآة والفلسفة**، حوليّات كليّة الآداب، الحوليّة الثانية، جامعة الكويت، دط، ص07.

السليماني، أحمد ياسين، (2009م): ***التجليّات الفنيّة لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر***، دمشق: دار الزمان.

عباسعلي نجاد، مريم وآخرون، (2019م): جدلية الأنا والآخر في أشعار عزالدين المناصرة المقاومة، مجلة ***الأدب العربي***، جامعة طهران، السنة11، العدد1، صص1-22.

علوان، محمود، (2013م): "زط.. غجر.. نور.. حلب.. تعددت الأسماء.. والغجري واحد"، ***جريدة فيتو***، جريدة اسبوعية، تصدر عن شركة الاحرار للصحافة والطباعة والنشر.

عيسى، فوزي، (2011م): ***صورة الآخر في الشعر العربي***، التدقيق اللغوي والمراجعة عبدالعزيز جمعة، الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.

كاظم زاده، فاطمه، وعبده عبود، وسعيد بزرك بيكدلي، (2013م): "صورة الآخر في رواية قبل الرحيل ليوسف جاد الحق مجلة العلوم الانسانية، ع 2 (1)، صص 88-73.

نامور مطلق، بهمن، (2010م): دراسة صورولوجية لتعريف بطريقة نقدية في الأدب التطبيقي، ***دراسات في الأدب المقارن***، جامعة آزاد الإسلامية جيرفت، السنة3، العدد12، صص 119- 138.

نبيل، صبري، (1980م): **"جماعات الغجر" مع إشارة خاصة للغجر في مصر والبلاد العربية**، ط1، القاهرة: دار الآداب.

الهروط، بلال سالم، (2008م): ***صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية***، أطروحة للدكتوراه، أردن:جامعة مؤتة.